

تاريخ الإرسال: 2018-02-10

تاريخ القبول: 2018-03-14

تمظهر التراث في الرواية الجزائرية  
رواية عتبات المتاهة لأحمد عبد الكريم  
د. براهيم فطيمة  
جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس

الملخص :

مرت الرواية الجزائرية بعدة مراحل مع بداية التسعينيات ومعها عرفت عدة تغييرات مست اللغة والأسلوب وأشكال الكتابة ومضمونها وهذا ما دفع العديد من الروائيين إلى تبني كتابة جديدة تخرج عن الإطار الكلاسيكي، حيث جنح الكثير من الروائيين إلى توظيف التراث بأنواعه في رواياتهم و في هذا المضمار سيتم تبيان ذلك من خلال رواية "عتبات المتاهة" لأحمد عبد الكريم" التي تعج بتراث غني استثمره الروائي في مدونته من حكايات قديمة وأهازيج وخرافات وغيرها.

الكلمات المفتاحية :

الرواية الجزائرية؛ التراث؛ أحمد عبد الكريم؛ رواية عتبات المتاهة.

**Abstract :**

The Algerian novel passed from several stages in the beginning of the nineties, and with it there were several changes in language, style, forms and content. This led many novelists to adopt a new writing that goes beyond the framework classical. This is illustrated by the novel " Mazes thresholds " by Ahmed Abdel Karim, which is full of a rich heritage that the novelist invested in his work from old tales, songs, myths and others.

The forms presented here are how the use of heritage is reflected in the story of the mazes thresholds? And other questions that will be presented by this research will try to answer this speech.

### تمهيد:

إنّ العودة إلى الاهتمام بالأدب الجزائري ومعالجة قضاياها تعد خطوة من الخطوات الجديرة بالاحترام والتقدير والتّهوض به وبمدوناته وبما احتوته. لطالما دأب باحثون كثر على الاهتمام بالآداب الأخرى سواء المشرقية أو المغربية فكان حظ الأدب الجزائري قليل مقارنة بهم، يمكن أن نطلق عليه مصطلح أدب مغمور، بالرغم مما يتضمنه من أعمال راقية وسامية، فهذا الحظ القليل من الدراسة والبحث لا يتعلق بالروايات فقط بل مس أيضا قسما الأدب؛ أي الشّعْر والنثر وباقي الأجناس الأدبية الأخرى على اختلاف أنواعها.

ارتبط الأدب العربي المعاصر كثيرا بالتراث عبر حقبة تاريخية طويلة، وهذا الارتباط والتّعالق نجم عنه ما يسمى بتوظيف التراث في الأعمال الإبداعية؛ أي ذهب الأدب العربي وعلى وجه الخصوص الأدب الجزائري الذي سعى إلى النّهل منها وتوظيفها في الأعمال الإبداعية، ولم يقتصر الأمر هنا على جانب من جوانب التراث بل تعداه إلى مختلف ما تضمنه من قصص خرافة، أسطورة مثل حكايات وأغاني شعبية وهذا الاستخدام للتّراث استند إلى الأبعاد الدلالية وتحميل الرموز رؤى معاصرة للتّجربة الأدبية للأعمال الإبداعية وخاصة الروائية.

فالتّراث هو انعكاس شديد لهوم الأديب أو الروائي أو القاص أو الشّاعر، بحيث يحدث التّمازج والتّداخل بين التراث وملاحم المعاناة الخاصة بهم ومن ثم تعبر عن هموم الأديب ومعاناته المعاصرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحافظ على التراث وعلى أصالته وعراقته.

ومنه يصبح التّراث بمثابة الخيط الأصيل الذي يدخل في تركيبته ونسيج الرؤية الأدبية للأديب المعاصر ولا يأخذ التّراث صفة الدخيل الذي ينظر إليه نظرة غير لائقة أو الذي يتم فرضه فرضاً، وإنما يسير ويساير الأعمال الإبداعية وفق ما تقتضيه الحاجة، ومن هذا المنظور تعد العلاقة بين الأديب والتّراث علاقة أكثر انسجاماً وغنى فهي قائمة على العطاء المتبادل الذي يخدم الطرفين ، هذا ما جعل الكثير من الأدباء يحرصون على إقامة علاقة حميمة مع هذا التّراث لذا سخرُوا كل جهودهم في سبيل إثراء هذا النوع من الفن وخدمته، وهذا التّثوع والثّراء في التّراث أثناء توظيفه في الروايات جعل اللغة والأسلوب متميّزين حيث برزت شعريتها واكتسبت الرواية جمالية لا نظير لها.

إنّ هذه الخصوصية والتّهل من التّراث التي اكتسبتها الرواية عموماً ، وعلى وجه الخصوص الرواية الجزائرية وهذه الأخيرة مرت بعدة مراحل مع بداية التسعينيات ومعها عرفت عدة تغيّرات و فترات صعبة جدّاً فترة العشريّة السوداء . مست اللّغة والأسلوب وأشكال الكتابة ومضمونها، وهذا ما دفع العديد من الروائيين الجزائريين إلى توظيف التراث بأنواعه في رواياتهم، وفي هذا المضمار سيتم تبين ذلك من خلال بعض النّماذج الروائية وعلى رأسهم "أحمد عبد الكريم" في رواية "عتبات المتاهة".

والإشكال المطروح هنا هو كيف تمظهر توظيف التّراث في رواية عتبات المتاهة؟ و غيرها من الأسئلة التي سيطرحها هذا البحث ستحاول هذه المداخلة الإجابة عنها.

## 1- ملخص الرواية:

الرواية التي محل الدراسة هي للروائي الجزائري "أحمد عبدالكريم" المعنونة بـ "عتبات المتاهة" قام بتقسيمها إلى 10 عتبات:

الأولى الرّاقِي-كاهنة..أول العتبات-امرأة الأحرّاش الصعبة - أجراس  
الأمكنة الأولى-مشاهدات القلبيّ-تذكرات القبو الأسود - رسالتان إلى  
رحيل-صيف أرجواني-دماء الياسمين -رود لزرقه البحر.

تحكي الرواية تفاصيل شاب قادم من مدينة بوسعادة جنوب الجزائر العاصمة ، يطلق عليه بـ"أحمد الأعسر"(قوشيار) ، انتقل من مدينته إلى الجزائر العاصمة (البهجة) ، يرى أنها مدينة الضياع و التيه ، انتباهه القلق حول مكان الإقامة خاصة الجو ممطر ، فاتجه نحو الحي الجامعي للطالب (الذكور) ، أين يقيم صديقه في الغرفة 88 هي تحمل التعب و الإرهاق ، و في هذه الاثناء اتى عنده شاب يسأل عن صديقه قال له ، أخبره ، ذهب إلى مدينته ، الشاب كانت أخته تدعى "كاهنة" مريضة تعاني من نوبات و صديقه يرقبها ، ذهب "أحمد الأعسر" و قام برقية الفتاة ، بعدها تطورت العلاقة بينهما .

تنتقل الرواية بين الماضي فالشباب "أحمد" يتنازعه الماضي و الحاضر ويستحضر ماضيه الذي يحفل بكل فنون التراث ، وحاضره مع فتاته "كاهنة" و تحضر بصفقتها تيمة من تيمات الماضي فهي حملت اسم بطلة من بطلات التاريخ "الكاهنة البربرية" ، والشباب بين منطقتهم وعاداتهم وبين العاصمة وتعقيداتها ومظاهرها الحضارية العريقة والتحضر، ثم تنتقل أحداث الرواية إلى القبض على الشاب في غرفة

صديقه أثناء التفتيش تم العثور على أشرطة وهي تعبر عن مرحلة من المراحل العشرية السوداء التي عرفتها الجزائر وبرزت جماعة الإرهاب التي نكّلت وعذبت وقتلت الشعب الجزائري .

تم القبض الشاب "أحمد" من طرف الجماعة المسلحة برفقة صديقه وتم ارغامهما على الزواج بعد زواجهما يفترقان تذهب "كاهنة" إلى فرنسا مع ولدها تاركة "أحمد الأعرس" لوحده ، يظل يحمل باقة الورد منتظرا عودتهما وهو جالس في ميناء سيدي فرج يرتقب السفينة عليها تحملهما .

## 2- التراث و الهوية :

إنّ الحديث عن التّراث لا يبقى بمنأى عن الهوية فهي : « بصفة عامة في كونها الطريقة التي يمكن من خلالها أن يحدد الأفراد أنفسهم بوصفهم أعضاء في مجموعة ما»<sup>(1)</sup>. ويعرف "جيمس كوت JamsCote" و"شارل لفين CharlesLevine" الهوية بأنّها: «الأمة، الطبقة الاجتماعية ، الثقافة ، العرق ، الجنس ، وغير ذلك»<sup>(2)</sup> . ومنه الهوية تجمع كل هذه الأمور ، وإذا تعلق الأمر بالتراث فأى مكون من مكوناته فهو في النهاية يدخل ضمن الهوية و يصبح لصيقا به و سير معه جنبا إلى جنب في كل المناسبات.

## 3-توظيف التراث وهيمنة الثقافية الشعبية :

---

(1) معجب العدوانى ، الموروث وصناعة الرواية، مؤثرات و تمثيلات، منشورات ضفاف بيروت منشورات الاختلاف الجزائر ، دار الأمان المغرب ، ط 1 ، 1434هـ-2013 ، ص 08 .

(2) Jams Cote E , and Charles Levine , Identity Formation , Agency , and Culture , New Jersey , Lawrence Erlbaum Associates , 2002 , P 32 .

المُطَّلِع على الرواية يلحظ جيدًا أنّ الرواية تحفل بكم هائل من الثقافة الشَّعبية، "الرقية" هي أول عتبة حيث يقول: «وكيف ساعفتني في استحضار تلك التعاويذ والأدعية التي كنت أعتقد أنني نسيتها لبعد ما بيني وبينها من عهد، ثم دخلت في مونولوج هيسستيري: -حتى أنت يا أعسر... حتى أنت يا إديس- تلبس لباس (الخوانجي) الذي يدرس الشريعة وأصول الدين في البلاد، و تحترف الرقية والدجل في البهجة يا واحد...» (3).

هذه الحادثة جعلته يسترجع حوادث المراهقة من معتقدات عاشها في بلدته حيث يذكر أنه: «رأى النساء حين يجئن إلى والدي متلحفات، خفية عن أزواجهم و يترجينه كي يكتب لهن كتباً للزهر، أو لأبنائهن و أزواجهن الممسوسين برياح الجن و العين و التابعة» (4). هذا الأمر يحمل سذاجة وعقلية الناس والنَّمسك بمعتقدات شعبية ترسخت في أذهانهم حتى صارت جزء مهم من حياتهم لا يمكن التخلي عنها بأي حال من الأحوال.

الطفل تذكّر ما كان يقوم به والده، مرة أخرى يعود بذاكرته إلى أحداث أخرى يقول: «و كنت أصحو فجراً، وأجده يدبج حجاباً أو يتصفح مخطوطه الأصفر العتيق المنسوخ بالسماق ثم يضعه في كيس الصوف الأسود، و يعلقه في سقف البيت و حدث أن وجدني أتهدجى طلاسمه، فعنفني و ضربني، لأنّه ليس حرياً بي أن ألمسه وأنا لا أملك الميثاق خشية أن أصاب بلوثة، أو تصييني الجان بسوء...» (5). اعتمد الروائي

(3) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، (رواية)، ط1، الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص11.

(4) المصدر نفسه، ص12.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

على ذكر العديد من المعتقدات الشعبية: الطلاسم-الطوابع-ذكر السهم-النجم-القوس-يوم الخميس-أحمر اللون، يعيش ثلاثة وتسعين سنة لا يموت حتى يصبح كالقوس-الحجاب-برج داوود شخصيات الأنبياء-البخت الأسود-المرض من أجل المرأة-مفلجة الأسنان-جرح الجسد-تطيح من فوق الشجرة أو من فوق الفرس . تعتمد المعتقدات اللغوية العربية الفصحى والعامية .

يذكر الروائي نموذجاً منها: «الفائدة في جلب النساء، تكتبها عند غروب الشمس في ثوب من تريد وتحرقها، فإنها تأتيك ولو كانت في قصر من حديد، وهذا ما تكتب :وووووووس س سسسسس ع عععع ح حححح ...»<sup>(6)</sup> . أراد الروائي من خلال هذا التراث (المعتقدات) إحياءه و تجلياته و توجيه الأنظار إلى ما فيها من قيم فكرية و روحية و فنية صالحة للبقاء والاستمرار .

أصبح لزاماً على المبدع أو الروائي أن يتعامل مع هذا التراث من خلال الكشف عن تلك الروح الكامنة فيه، واستيعابه و تمثله أعمق تمثّل، لذا مطالب بقراءته وتمحيصه و تبني معطياته مع ما يتجاوب مع همومه المعاصرة . وذلك أنّ : «الذين تعاملوا مع تراثهم في إطار هذه الصبغة أن عليهم أن يسيروا في الشوط الذي بدأه أسلافهم إلى غايته ، وألا يقفوا عند الحدود التي انتهت إليها جهود هؤلاء الرواد،حيث

---

(6) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، ص14.

جدت ظروف حضارية وثقافية لم تكن متوافرة أمام هؤلاء الرواد عندما صنعوا أنموذجهم الخاص في التعامل مع التراث» (7).

يذكر "أحمد الأعرس" حدثوني أنّ: «إبراهيم المرابط، أهداني عقب ولادتي جدياً أسوداً، وأنبأهم بأنه يبصر في مخايل المرابطية، لذلك فقد أصبحت له مريداً، أتطلع إليه في الأعراس والحضرات، مأخوذاً برقصته الروحانية الأثيرية، وهو يتوثب ويهتز مثل زوبعة جامحة ويرش بعطر سماوي، لا يعلم أحد من أين جاء به من تحت أيديهم... كانت المرأة يومئذ ملكة الحصير، أو الحصير ذاته، ولم تكن غير ذلك المسخ المهني، الذي أخرج آدم من الجنة، وأطلق الموت من قممه في بدء الخليفة... كانت مشانق الأعراف، وكانت المرأة فاكهة حراماً...» (8).

#### أ- استحضار الأماكن العريقة :

تظهر جمالية التراث في استحضار الأماكن العريقة العتيقة ذات الطابع الإسلامي التي مازالت حاضرة حية في نفوس أصحابها، حيث ذهبت "كاهنة" برفقة صديقها "الأعرس" إلى القسبة والدخول إلى أزقتها المتعرجة، حيث رسمت له أفلام الأبيض والأسود، ويراها بعيني عن "منمنمات" محمد راسم"، ومازالت "كاهنة" تمسك بذراعه كعادتها وتكلمه: «عن جمال العمارة الإسلامية، بنوافذها الصغيرة، وأقواسها وسطوحها، وتعيد على حكاية (لوكربوزيه) ذلك المهندس الذي عشق

---

(7) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر

العربي، القاهرة، مصر، 1997، ص 25.

(8) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، المصدر نفسه، ص 26 - ص 27.



القصبة و استلهم منها الكثير من تصميماته...»<sup>(9)</sup> . يتجه الروائي مرة الى استحضار عناصر تراثية بعدما وقف الشاب "الأعسر" وهو يتأمل عازف المندولين عاد به الأمر إلى سنه وطفولته عندما حاول تعلم العزف على القصبة ،بمساعدة الراعي وأن يترجم لوعاته بالناي ويقول بالأصابع والنفثات ما لا يقال بيباس الكلام وأن يسلم دفء تهديداته وصبوته إلى سحر هذه القصبة المنقوبة بالنار تحت ستة ثقوب: «وحدها القصبة، كان بوسعها أن تستنفذ البراري الفسيحة، إنها فاكهة التوحد و الخلاء المفتوح على أفق لا نهائي...لغة الضلوع المنثورة لرياح الضنى، وأنين الرئات المتلذعة، إذ تمنع الأنفاس عن الحر فرادة البوح اليتيم»<sup>(10)</sup>. وبهذا تمثل الأماكن حلقة وصل بين الماضي والحاضر بالنسبة لأحمد الأعسر.

اهتمت الرواية برصد خصوصية البيئة المحلية بوصفها الإطار المكاني الذي تنقل فيه "الأعرج". وهو يتنقل في أزقة العاصمة فوجئ "الأعسر" بصديقه وهي تدخن لما نظر إليها قالت: لم تنظر إلي هكذا كل بنات الأحياء الجامعية يدخن، كل الناس تدخن إلا أنت وظهرت بصورة عصبية شرسة قال لها صديقها "الأعسر": «كان عليّ أن أقر بأنها عرّافة تحبس الأشياء قبل وقوعها، أليست تسمية "الكاهنة" الملكة البربرية التي روى عنها... وهي أقرب إلى مناخات الكاهنة الساكنة في أعماق التاريخ والأسطورة...»<sup>(11)</sup>. ربط "الأعسر" تصرفات "كاهنة"

(9) المصدر نفسه، ص34.

(10) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، ص20.

(11) المصدر نفسه، ص 34 - ص 35 .

بالمملكة "الكاهنة" المرأة المتغترسة الأسطورة التي شغلت الناس برواياتها وحكايتها. ومن ثم قام صديقها بسرد عليها قصة الملكة "كاهنة"

من خلال ما ذكره "ابن خلدون" عنك قام الأعسر بالربط بين الاسمين من الناحية التاريخية: « وكان لها بنون ثلاثة، ورثوا رئاسة قومهم عن سلفهم، وربوا في حجرها، فاستبدت على قومها بهم، وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أمورهم، وعواقب أحوالهم، فانتهت رئاستهم، وملكت عنهم خمسا وثلاثين سنة، وعاشت 127 سنة، وكان مقتل عقبة بن نافع في البسيط قبله جبل أوراس بإغرائها...» (12). ردت عليه "كاهنة" دعني الكاهنة الحقّة لم تتصفها كتبكم، لم ينصفها أحد مازالت تسكن ذاكرة المكان، ترفرف روحها في الأعالي .

ومنه تتخذ شخصية "الكاهنة": «طابعا أسطوريا في محمولها التاريخي المضغوط في الذاكرة وفي تشخيصها لهواجسها ورغباتها...» (13). هذا الزخم التراثي ساهم مساهمة فعالة في شد القارئ خاصة وأن الرواية تعج بالأحداث والوقائع التاريخية التي تعرف بالموروث الشعبي الجزائري الذي مازال مغمور، متنفسه الوحيد الرواية فهي أقدر على إبرازه وتجليته.

إنّ الحديث عن التّراث وأحداثه التي يستبطنها تجعل: «الروائي لا يذهب إلى التاريخ ، وإنما يستحضره فيه، و يتضمنه، وينتخب لحظة

(12) حسن الصميلي وآخرون، الرواية المغربية وأسئلة الحداثة، مختبر السرديات (وقائع ندوة وطنية

مختبر السرديات)، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع،الدار البيضاء،المغرب،1998،ص48.

(13) عبد الله إبراهيم وصالح الهويدي، تحليل النصوص الأدبية،قراءات نقدية في السرد و

الشعر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،1998، ص48.

خاصة للبدء بالمحاورة مع التاريخ، فهي من ناحية أولى لحظة يقظة عامة أو استعادة وعي مطمور ومن ناحية أخرى لحظة انعطاف تاريخي تقترن بزمن محدد...»<sup>(14)</sup>. العودة إلى التراث هو بمثابة محاكاته وتبيان ما خفي منه علاقة "الأعسر" بـ"كاهنة" هو ما دفعهما إلى الحديث عن الملكة "الكاهنة". تتطلق "كاهنة" بسرد حكاية الملكة "الكاهنة" على مسامع "الأعسر".

### ب- استحضار الشخصيات التاريخية:

إلى جانب هذا تم استحضار بعض المعتقدات والرموز مثل: حورية الجنة، الجنائز، الختمات، صباحات الجمعة، توزيع أطباق الكسرة على الدراويش، المجامر، البخور، عطر الريحان، تعطير الأكوان، كما تحضر بعض شخصيات الأنبياء النبي الخضر عليه السلام وبعض العلماء مثل الحسن البصري وابن الفارض الصوفي وحضورهم دليل قوي على استثمار العنصر الصوفي: «كعنصر أساسي... أين الطوسيين الحلاج؟ - فالدراويش والمجانيب والشطح... وصولاً إلى صيرورة سارح يهف أمام مريديه...»<sup>(15)</sup>. إن الاستحضار الصوفي وسم الرواية بالغرائب والعجائب والتخييل، فهذه اللغة لغة شاعرية تذوب بالزوايا الضليلة حد العتمة، إنها لغة ثرية مغربية، فهي تبدو أكثر إشراقاً في العالم الصحراوي الأسطوري. الذي

---

<sup>(14)</sup> أحمد فرشوخ، حياة النص، دراسات في السرد، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2004

ص 158- ص 159.

<sup>(15)</sup> نبيل سليمان، جماليات و شواغل روائية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا

2003، ص 154.

يملك حس عميق هو القادر على أن يجري على لسان شخصياته ما يمكن أن ينطق به لسان حالها.

والروائي الفذ هو الذي يستهدف تصوير حقائق الواقع، و ليست اللغة إلا وسيلة للتعبير، ويختار الوسيلة الأكثر إسعافا والوسيلة المطواعة التي تملك قدرة على صدق التصوير.

يستمر الروائي في استحضار كل الجوانب المتعلقة بالتراث الجزائري، تم استحضار رمز الكعبة وشخصية دينية فاطمة رضي الله عنها يقولون نحن سلالتها، والناس كانوا يتوجهون في مساءات الخميس باتجاه عين توتة ومدافن الحجاج، حمل المجرم المعدني تاركا وراءه دخانا و رائحة البخور تصل الى أمكنة بعيدة ، عرفة المنطقة الصحراوية بمواسم ديوان "سيدي بوزيد" الذي يتولى جمع الأمانات والصدقات، إيقاع الدفوف المزخرفة بالأهلة والنجوم، وأصابع الحنا يتقدمهم الدراويش و المجاذيب الذين يحملون الرايات و البيارق الخضراء يذكر الروائي أن هذا هو :«الطقس آلهتنا الوحيدة في هذه القرى الجنوبية البائسة لذلك نزرع أحلامنا المؤودة بالخرافة، ونرمم يومياتنا البائسة ببركات الأولياء...يقولون:

يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ      وَأَنَا جِيْتَكْ بِالزِّيَارَه  
سَرَّخْنِي نُرُوح      وَيَبْقَى شَيْخِي بِالسَّلَامَه  
يَا القَبَّةَ الحَضْرَا      مَنْ لَبَّحُورْ تَبَانْ»(16).

يقف الزائر أمام الأولياء يطلبون أن تتعد عنهم الغبن والجنون.

(16) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، المصدر السابق، ص63.

(17) المصدر نفسه، ص 64 .

تتسع حلقة التراث في هذه الطقوس، حيث يقام الديوان وتتهافل الزيارات، ولفائف البخور والجاوي والازرات، حيث تتقدم النسوة إلى المقام من أجل الدعاء من نوات الحضرات الغاوية، والأسنان الفضية وكل واحدة تدعو بشيء مخبئ في سرها ويقلن :

بُوزِيْدُ يَا بُوزِيْدُ يَا      مُوَلَى الْقَبَةِ الْمَبْنِيَّةِ  
لَخُوَانُ جَاثٌ تُرُوْرُ      وَ نُرُوْرُ جَدِي بِالنِّيَّةِ  
الرَّخَامُ يَبْرُقُ يَبْرُقُ مَنْ بُعِيْدُ      وَالْقَبَةُ خَصْرًا مَبْنِيَّةِ (17).

الكل يقف وقفة واحدة أمام هذا الولي الصالح الذي يصل إلى حد تقديسه تغمره النساء والأطفال بتبرك كبيرة لا نظير له ذلك أن مؤلف الرواية: «يكون قد نهض بمهمته في بلورة الأحداث... من ضروب الأفطار والمشاعر المقترنة بها ما يعد أكثر دلالة وتشويقاً...» (18). الروائي لا ينسى أحداث الرواية ما بين "الأعسر" و"كاهنة" و لا ينسى ما استحضره ووظفه من تراث يعج بأحداث لا حصر لها حيث لا يمكن أن نتعامل مع الأعمال الإبداعية على أنها علامات لغوية اعتباطية بل يسعى إلى جعلها شخصيات منسجمة تتناسب مع الأحداث وتحقق للنص الروائي مقرونيته ولشخصيته وجودها وكيانها.

وفي هذا المضمار يستحضر رمز ديني "الحسين" رضي الله عنه من خلال كلمة (دم) و مكان آخر (سبأ) يحمل له الدم بعد مقتل "زنوبيا" ملكة "تدمر" التي دمرت بعد اعتقالها، و يرون أن هذا الدم

(18) روجرب-هنكل، قراءة الرواية، مدخل الى تقنيات التفصيل، تر، صلاح رزق، دار غريب

للطباعة ونشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص143.

الملكي يشفي من الكلب، وما يلاحظ على الثقافة الشعبية بعض العادات عند ذبح ديك و شاه أو معزة يتم وضع بعض الطلاسم على جدران مكان الضريح.

### ج-الأغاني الشعبية :

من الصور التراثية التي تميزت في الرواية عاد "الأعسر" بذاكرته إلى ظلام من نوع آخر بعدما أدخل الى زنزانة مظلمة ،الظلام الذي بصدد الحديث عنه هو ظلام الرحم يقصد والدته "أم الخير البقعة" يصفها بأنها ذات الوجه العتيق المرقش بالبقع و الأوشام والعجوز "الدحود" التي تتقاسم معه الأمومة في القرية و الصرخات الميلاد الأولى، وتقطع الحبل السري و تشد الجسد الغض بأول قماطة مر عامان ثم ذهب الى أكل الكسرة،و كان عليه أن يفسح ثدي أمه لرأس سيأتي بعده أخوه "الأخضر" الذي أخذته "الشيذوفرينيا"، أتى يوم آخر من حياة الأعسر و هو في أوج زينته و رونقه بقندورته المطرزة بخيوط فضية و يتدلى على عصره سخاب العنبر (عقد) .لحظة وارتفعت زغاريد النسوة و رحن ينشدن :

«طَهْرُ يَا الطَّهَّازِ... وَ لَا تَجْرَحْ وَّلِيْدِي لَنْغَضِبَ عَلَيْكَ...»<sup>(19)</sup>. بعدها تأخذ النسوة بقايا غرلته في قصعة من تراب و تدفن في مكان تحت البارود و الزغاريد.

تعد الأغاني الشعبية وجزء من الموروث الشعبي:«تغنى أحيانا في مناسبات الأفراح ،و مواسم الحصاد،أو في مجال التواثل مع الوطن و التَّغْنِي به أو الحنين إليه، وقد تأتي أحيانا ترويحاً عن النفس وابتهاجا

---

(19) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، ص 79 .

بالمناسبات الحلوة، وقد تأتي للتوجع و الذكريات المؤلمة أحيانا أخرى «(20). هذه الأغاني تمثل حياة الإنسان العربي فهي لم تغادر ماضيه الريفى و البدوي و تعيش الأساطير والمعتقدات والطقوس في الذاكرة وعلى السنة الأجداد والآباء والإخوة والجيران.

وفي جانب آخر يسأل الطفل "الأعسر" عن دخوله إلى الجنة ترد عليه قائلة: «فجدك الرسول سيشفع فينا...»(21) . ويسأل الطفل جدته عن النصارى الذين يأتون إلى القبة ،تخبره أنهم لا يدخلون الجنة لأنهم كفار، لكن يتميزون بالجمال، إنهم أغنياء ونحن فقراء لهم الدنيا ولنا الآخرة يسأل الطفل عن سبب الفقر تسرد عليه الحكاية :«يا وليدي ...يحكى في قديم الزمان ،أن الغراب كان طائر أبيضاً وجميلاً، وبينما هو يحلق في الفضاء ذات يوم، ناداه الله تعالى وقال له:-اسمع أيها الطائر الجميل،هذه الصرة مليئة بالقمل ترميها في بلاد النصارى الكفرة، وهذه صرة مليئة بالماس و الذهب ترميها في العرب والمسلمين.

طار الغراب الأبيض بالصرتين، حاملاً إياهما بجناحيه، لكنه أخطأ فرمى صرة القمل للعرب، وألقى صرة الماس للنصارى لذلك فقد مسخه الله طائراً أسود عقاباً على فعلته تلك وليدي...»(22). أظهرت الجدة كرهها للغراب بسبب عشش القمل في العرب، ولماذا سمرتنا المفرطة ، وهم لهم بشرة بيضاء .وعلى هذا الأساس يمكن القول أن

---

(20) عبد الله مسلم الكساسبه، تجربة سليمان القوابع الروائية،ط1، دار اليزوري العلمية للنشر

والتوزيع، عمان، الأردن 2006، ص72.

(21) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة ، ص 80 .

(22) المصدر نفسه والصفحة.

الموروث الشعبي بما يحمله من أساطير وعجائب إنما هو وصف لشرائح من الناس غالبيتهم يتميزون بالبساطة، وهذه الشخوص حاضرة تعيش بيننا ومعنا وتسير بين فقرات الروايات وما علينا سوى الاستفاضة من هذا الموروث.

إنّ الاستعانة بالموروث و الأساطير أو ما يطلق عليه بتوظيف الموروث المتمثل بالأسطورة والغرائبي، وكل هذا يعتمد على قدرات وإمكانيات الروائي في تجويد أدواته الفنية لإيصال الفكرة إلى المتلقي .

يعود مرة أخرى الروائي الى استحضار الأولياء الصالحين أمثال "الغوث الرباني" و"القطب الصمداني" ويستحضر أيضا شطر القبة و المزار السدسي ، الضريح، وعلق "أحمد الطريقي" ملابسه على شجرة عرعر هرمة في مقام الشيخ، مديجة بالخرق و الودائع و دم النذر. وعلم أن الولي الصالح الغوث الرباني، والقطب الصمداني يتقيأوا شجرة العرعر وأدوا الصلاة تحتها، فصارت شجرة مباركة مكان للرهبة فضاءً للبخور، هذه الشجرة صارت هرمة، تجردت من نضارتها واخضرارها،و لم يبق تحت التراب إلا أقله والأطفال يتسلقنها والتأرجح على أغصانها المتأكلة، ويطردوا من طرف النسوة خشية سخط الولي الأخضر دفين القبة.

تجلس النسوة على :«تراب المقام، و هن يلهجن بذكر الولي ويعدن (الروينة) أو يحضرن مجامر البخور والجاوي...نحن الصغار في الخلاء الشاسع بحثا عن خرقة، أو نزوح نعالج شيئا من زوائد أسمانا كي نعقده على أحد أغصان الشجرة المقدسة ...»<sup>(23)</sup>..يحيط بالمقام

---

(23) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، ص 84 .



سور حجري بمدخلين ،داخله بقايا رماد المجامر، وقناني الفارغة، ومن الحكايات الشائعة أن قبلة المقام تتواجد به الصخرة يقال أن "القطب الصمداني" خرقتها بسبابته ،محدثا فيها ثقبا عميقا وكل زائر يصل بأصبعه إلى أقصى الثقب سيدخل الجنة.

وبما حفل به التّراث من تنوّع ثقافي و خاصة مقام الأولياء والصالحين جعل المنطقة وجه للزوار من بلدان شقيقة كانت في وقت مضى كافرة من أزمنة القحط والسنين العجاف والاخوان القادمين سعيا وراء اليمين و البركات في الأخير ماتت الشجرة المباركة واقفة واجتثت ومضت طقوس المقام إلى غير رجعة.

أغنى الروائي روايته بالتراث ويتحدث عن الأعسر وهو يتذكر طفولته الحافلة بأحداث فريدة من نوعها عاشها وعاشها وصارت جزءا من كيانه :«في صباي أشربوني الكثير من السماق و الطلاس الممحوة في الماء،قلدوني كثيرا من الأحجية و طوقت رقبتي كثيرا من الرقي والتعاويد بعضها في القماش الأخضر ، وبعضها في النحاس أو جلد البقر ،مثلما تقلدت الخمسة النحاسية ، وكانت حصني الحصين ضد العين والسحر والتابعة،و لكنني كنت أحلم بتقلد كتاب مكتوب بدم الهدهد...ذلك الطائر الخرافي الذي كان يحنط كي يعلق في سقف البيوت لجلب السعد ،ودرء الأعين الحاسدة والأرواح الشريرة...»(24).

هذا الاستحضار إن دل على شيء إنّما يدل على البراعة التي تميّز بها الجزائريين الذين يحسنون توظيف التراث في المعمار الروائي وذلك من خلال الاستثمار الجيد للموروث الصوفي الحامل بين دفتيه

---

(24) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، ص 85 .

السنة والشيعية: «و ذلك بواسطة تحريكه للأيقونات المختلفة والمشفرة لنصه الروائي، لينتهي بعد ذلك استقزاز بنيات الذاكرة الشعبية عبر مخيالها التاريخي التراكمي... وتأويل التحولات الرمزية لهذا الماضي التراثي الحاضر بصفة قدسية في سلوكياتنا سواء بصفة واعية و إرادية أم بصفة لاشعورية مبهمة خاضعة لمنطق تاريخي دائري مغلق»<sup>(25)</sup>. من الوسائل التي تساهم في نجاح العمل أو في إرفاقه ويعود ذلك إلى كفاءة تفي توظيف عمل السارد وعلاقته مع الشخصيات وبعض الحياة في عالم خيالي وأسطوري مكون من شخصيات وأفعال وأحاديث وهيئات أفكار ولهجات وتشبيد هذا العالم وإنشائه عن طريق اللغة.

تتواصل الرواية مشحونة بتراث لا مثيل له، استحضار شخصيات دينية "أهل الكهف" و"الحسين بن علي" سيد الشهداء القطب "سيدي بوزيد" و"إدريس الأكبر"، ومعهم تستحضر بعض الأماكن يثرب ومثناة فاس، جبال عمور، أسوار فاس البالي، أدريم كربلاء، بطحاء مكة وثنيات الوداع . وبعض الكلمات من القرآن الكريم "سدره المنتهى" تظهر شخصية من الأولياء الصالحين "الشيخ الكبير الباي"، هذا الرجل هو عاشق امرأة تدعى "بمسعودة" على حد قول بعض الروايات ذهبت إلى غيره من يومها لم يتعطر ولم يشعل شمعة، ولم يزره الناس وفي هذه الأثناء تظهر أمامه "عيشة الغولة" امرأة تتعاطى (الشمة) وكان صوتها غليظ، و لها سطوة الرجال، هي امرأة الأهوال والبرهان

(25) جعفر يابوش، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب، وهران - الجزائر، 2005،

والغيث ينزل عقب كل زردة تقيمها، فقد وسمت "القطب" "بالغولة" وكان ممقوت لديها.

يقول القائلون بأنها كانت: «زوجة و نقيبة لأحد ملوك الجان الصالحين وكانت تستقر النسوة لإقامة الزردة أو الوعدة في خلوتها بجبل (الأخناق) كلما رأت رؤيا أو هتف عليها هاتف، امتثالا لولي أمرها الروحاني، الذي كانت تكلمه وتراه، تهرع إليها النسوة محملات بالبهارات والعيش و البخور، ليرقن دم الجدي الأسود، نخبسيد الملوك الجان» (26). هذه المرأة "عيشة الغولة" كان لرؤياها وقع النبوءة والوعد المخبأ في غياهب الغيب.

في خضم الحضور التّراثي تستحضر شخصية أخرى "التروبادور الجوال"، وكان الرجل بعث من رماد العنقاء (أسطورة طائر العنقاء) ظهر بجلايبته الزرقاء ورأس حليق الرأس، يغمز ويهمز بذبذبات.

يعود الروائي إلى الواقع وما كانت تعيشه الجزائر من مآسي دموية وجود الملتحين الأشداء في الشوارع يحملون أشرطة إسلامية، في تلك الأثناء كان "الأعسر" برفقة "كاهنة" في حديقة "صوفيا" في صورة عاشقين، حتى وجدوا أنفسهم في أوجههم الخناجر هيأتهم قصار القامة، بمقصان قصيرة، ولحي طويلة حادة سدوا منافذ الحديقة، حاصروا العشاق و احتموا ببعضهم فقالوا لهم: «انتهت المسخرة أيها الفجار، هيا نقيم عليكم شرع الله. اقتادونا في سيارة نقل جماعي إلى مسجد لا اسم له، وحين فرغوا من صلاة العصر، وانتشروا في الأرض مثل الجراد الأسود، أدخلوني أنا و"الكاهنة" وإلى الأمير، كي يواجهنا بتهمة الفجور

---

(26) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، المصدر السابق، ص 90 .

والفسوق، بل الزنا، قبل إقامة الحد علينا. أثناء استنطاقنا كانت "كاهنة" كعادتها شرسة حادة الطبع و لم يكن على لسانها إلا كلمة، لا دخل لكم...»<sup>(27)</sup>.

استمر الحوار مع الأمير حول ممارسة الزنا، تهامسوا فيما بينهم قالوا الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، حاولت "كاهنة" مقاطعته قال لها: «السلطان ولي من لا ولي له... والجماعة شهود، أمرها ما شئت وإلا حفظها شيئاً من القرآن، أشهد الحضور على أنني عقدت زواج عبد الله هذا على أمة الله هذه على سنة الله و رسوله، فقولوا نعم، والله يعفو عنكما، وبيارك لكما، قالت كاهنة: هكذا إذن... وندت عنها زغرودة، صعدت أرجاء المكان.... وغادرنا الى حمام الرومية... كي نمضي ليلية في الحلال...»<sup>(28)</sup>. في الصباح الموالي غادرت "كاهنة" "الأعسر" كان اللقاء الأخير لكن لم تخبره. سأل عنها في بيتها أخبروه بأنها سافرت إلى الخارج إلى غير رجعة.

لم يبعد الروائي على مواصلة استحضار التراث في الرواية، حيث تحضر شخصية النبي "أيوب" عليه السلام رمز للصبر على الابتلاء والرضا بقضاء الله عز وجل ذلك أن الرموز الدينية: «تظهر بشكل واسع في كل مفهوم من مفاهيم الأساليب الأدبية الحديثة»<sup>(29)</sup>. حيث وجد الروائي أن أكثر الشخصيات و الرموز الدينية ملائمة لحالة الأعسر هي شخصية النبي "أيوب" عليه السلام.

(27) المصدر نفسه، ص 112 - ص 113 .

(28) أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، ص 114 .

(29) روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر، محمد الربيعي، دار غريب للنشر و

التوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص 136.

لكن الرجل "أحمد الأعسر" كان أقل صبرًا حيث اتجه إلى التدخين وهام على وجهه في الشوارع وبعد ذلك وصلتته رسالتين الأولى من "راشيل" ابنة "الرومية مارية" والثانية من زوجته "كاهنة" تخبره بمولوده الجديد "عقبة" فهو حائر في كيفية الوصول إليهما (زوجته وابنه عقبة)، اشترى ثلاث ورود الأولى ل"راشيل"، والثانية لزوجته ولابنه والثالثة له ورماهم في البحر (الورود) لأنه لا يقوى على الذهاب إليهما ولا إلى العودة إلى البلد الصحراوي .

### خاتمة :

حاولت هذه المداخلة الوقوف على عناصر التراث من خلال تمظهره وتوظيفه حيث اصطبغت به الرواية، حاول "أحمد عبد الكريم" أن يعطي صورة جمالية لها فجعلها تتميز أيما تميز، وفي جانب آخر وظف جزء من الواقع المعاش الذي عاشته الجزائر واقع دموي، لكنه طفى على السطح فقط ولم يتغلغل إلى أعماق الرواية، أراد أن يضيف عليها جو من نوع آخر، لكنه سرعان ما تلاشى في ثناياها، ليعود من جديد طغيان وتمظهر التراث بكل أبعاده وحيثياته.

### قائمة المصادر والمراجع :

- 1- أحمد عبد الكريم، عتبات المتاهة، (رواية)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2007
- 2- أحمد فرشوخ، حياة النص، دراسات في السرد، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 2004
- 3- جعفر يايوش، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب، وهران- الجزائر 2005.

- 4- روبرت تهمفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر، محمد الربيعي، دار غريب، القاهرة - مصر، 2000.
- 5- روجر ب-هنكل، قراءة الرواية، مدخل الى تقنيات التفصيل، تر: صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005
- 6- الصميلي وآخرون، الرواية المغربية وأسئلة الحداثة، مختبر السرديات (وقائع ندوة وطنية مختبر السرديات)، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1998
- 7- عبد الله إبراهيم وصالح الهويدي، تحليل النصوص الأدبية، قراءات نقدية في السرد والشعر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 1998
- 8- عبد الله مسلم الكساسبي، تجربة سليمان القوابعة الروائية، ط1، دار اليزوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006
- 9- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر ، 1997.
- 10- معجب العدوانى، الموروث وصناعة الرواية، مؤثرات وتمثيلات ، منشورات ضفاف بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان المغرب، ط1، 1434هـ-2013
- 11- نبيل سليمان، جماليات وشواغل روائية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، 2003
- 12- Jams Cote E , and Charles Levine , Identity Formation , Agency , and Culture , New Jersey , Lawrence Erlbaum Associates , 2002